

## العدالة وأبعدها الدنيويّة والأخرويّة في ضوء كليّات رسائل النور

د. محمد حمد كنان ميغا  
أستاذ الفقه وأصوله ومقاصد الشريعة  
بالجامعة الإسلامية بالنيجر

### مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، العدل الحقّ المبين، والصلاة والسلام على سيّد الورى  
أجمعين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن والاهم إلى يوم الدّين.  
وبعد:

فإنّه من نافلة القول أن نقرّر هنا أنّ تمّ تقرير أنّ على العدالة قامت السماوات  
والأرض، وبها تجري أمور الدنيا على انتظام، وعليها ستجري أمور الآخرة على النحو  
المفصّل في القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة.

ولما كان الأستاذ الكبير والمفكّر الإسلامي النادر بديع الزمان سعيد النورسي قد  
جاهد بفكره النير في كليّات رسائل النور - التي تعتبر تفسيراً واقعياً ومقاصدياً للقرآن  
الكريم - من أجل تحقيق العدالة الدنيويّة وربطها بالعدل الإلهي في تسيير أمور الدنيا  
والآخرة، قلت: لما كان هذا الفكر واضحاً في رسائل النور رأيت أن تكون مشاركتي  
حول المحور الخامس من محاور المؤتمّر، وهو: (العدالة وأبعدها الدنيويّة  
والأخرويّة).

وقد قسّمت الموضوع إلى مقدّمة توضّح أهمّيّة الموضوع وسبب اختياره، وتمهيد  
في بيان مفهوم العدل، ومبحثين:

### المبحث الأول: العدالة وأبعادها الدنيويّة في ضوء كَلَيَات رسائل النور

سيتجلى في هذا المبحث أنّ العدالة سبب أساسي للسعادة الدنيويّة، وللتعايش السلمي، والتعاون والتآزر فيما بين الشعوب، والأفراد والجماعات، وفيما بين الراعي والرعيّة، كما سيُجلّي هذا المبحث العدل الإلهي في تسيير أمور الدنيا على انتظام، قال تعالى: ﴿اللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر: ١٩)، وهذا العدل الإلهي يستلزم العدل البشري، وقد جاء في الحديث القدسي: "يا عبادي إنّي حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا"<sup>(١)</sup> لأنّ المكلف مأمور أن يكون قصده في التكليف موافقاً لقصده الشارع في التشريع، مما يقتضي عدم الاعتداء على الإنسان في دينه ونفسه وعقله ونسله وعرضه وماله، وعدم التعسف في استغلال البيئته، أو تلويثها.

### المبحث الثاني: العدالة وأبعادها الأخرويّة في ضوء كَلَيَات رسائل النور

سيتجلى في هذا المبحث العدل الإلهي يوم الدين بين الخلائق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس: ٥٤). فالعدل نور يقود صاحبه إلى الجنة، والظلم ظلمات يوم القيامة، يقود صاحبه إلى النار، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم: ٨)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكِمِ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد: ١٢).

وأخيراً: خاتمة بخلصة البحث ونتائجه وما تيسّر من توصيات مفيدة.

هذا، وبالله تعالى التوفيق، وعليه التكلان، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

(١) صحيح مسلم، ٤/١٩٩٤، ١٩٩٥، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

### تمهيد: مفهوم العدالة

العدالة في اللغة: الاستقامة، وهو من عدل، يعدل، عدالة، وعدلا، وعدولة. وقيل: العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق، أو هو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو من أسماء الله تعالى، ويعني: الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر مسمى به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه؛ لأنه جعل المسمى نفسه عدلا. والحكم بالحق عدل، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه وشهادته، ومنه قول كثير عزة: وبايعت ليلي في الخلاء ولم يكن شهود على ليلي عدول مقانع، ويستوي في لفظة (عدل) المذكر والمؤنث، والمفرد والمثنى والجمع، يقال: رجل عدل، ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى: رجل ذو عدل، ورجلان ذوا عدل، ورجال ذوا عدل، وامرأة ذات عدل، ونسوة ذوات عدل، وقد حكى ابن جني: امرأة عدلة، ولكن هذا يحمل على أنه قد أجزى مجرى الوصف الذي ليس بمصدر<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ (الطلاق: ٢)، أي: ممن قامت بهم صفة العدالة حتى أصبحت جزءا منهم لا يتجزأ، وقوله منكم: فيه دلالة على أنهما يكونان من أهل ملّة الإسلام، وعليه فلا تقبل شهادة الفاسق، والكافر، والذمي إلا في حال الضرورة، بأن يكون ذلك في سفر وليس هناك مسلم شاهد. وقد بوّب مسلم في صحيحه ٨ / ١ فقال: باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك بوّب البخاري في صحيحه ٩٣٤ / ٢ بقوله: باب الشهداء العدول وقول الله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم، وممن ترضون من الشهداء، وقال تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ (المائدة: ٩٥)،

والعدل بكسر العين المثل والنظير، ونصف الحمل، وجمعه: أعدل وعدول، ويقال: عدل الحكم إذا أقامه، وعدل فلانا: إذا زكاه، وعدل الميزان: إذا سواه، وعادل الشيء: إذا وازنه. ومنه الاعتدال: وهو توسط حال بين حالين في كمّ أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل<sup>(٣)</sup>.

العدالة والعدل في الاصطلاح الشرعي: فقد عرّفهما الجرجاني في تعريفاته بقوله: العدالة في الاصطلاح الشرعي: هي عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عمّا هو محظور دينا<sup>(٤)</sup>.

(٢) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ١٩١، وابن منظور، لسان العرب باب العين، بتصرف.

(٣) فيروز آبادي، القاموس المحيط، باب اللام فصل العين.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ص ١٩١.

والعدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط<sup>(٥)</sup>. وفي اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصرّ على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيّة؛ كالأكل في الطريق والبول<sup>(٦)</sup>. قلت: العدل: على المصدرية (العدالة): هو الاعتدال والاستقامة على السلوك السوي بفعل المأمور به وترك المنهي عنه شرعا، مع الميل إلى الحق وإقامته. وأما العدل: على الوصفية (ذو عدل): فهو المعتدل المستقيم، الذي يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، ويسعى لإنهاء الظلم، أو إقلاله. أمّا مفهوم العدالة عند النورسي: فهو ذلك التّظر الشمولي إلى ما في هذا الكون الفسيح بمخلوقاته المتنوّعة من تنظيم دقيق وبديع، لا يختلّ ولو لحظة؛ لأنّه روعي فيه الرعاية التامة لحقوق الرعيّة، تحت عناية من لا يميل به الهوى فيجور في الحكم.. إنّها العدالة المحضّة التي هي سرّ الوجود في نظر النورسي؛ لأنّه لولاها لما كان للحياة طعم ولا لذّة.

ويوضّح هذا المفهوم قوله: (إنّ منح كل شيء وجودا بموازين حسّاسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسه صورة معيّنة، ووضعه في موضع ملائم .. يبيّن بوضوح أنّ الأمور تسيّر وفق عدالة وميزان مطلقين. وكذا إعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي: إعطاءه كل ما يلزم، وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقائه في أفضل وضع، يدل على أنّ يد عدالة مطلقة هي التي تسيّر الأمور. وكذا الاستجابة المستمرّة والدائمة لما يسأل بلسان الاستعداد أو الحاجة الفطريّة، أو بلسان الاضطرار، تظهر عدالة مطلقة، وحكمة مطلقة هما اللتان تجريان عجلة الوجود)<sup>(٧)</sup>.

#### المبحث الأول: العدالة وأبعادها الدنيويّة في ضوء كليات رسائل النور

إنّ الله تعالى خلق الإنسان وعلمه البيان، وبصره بما إن التزم به استقامت حياته على نظام، وتحققت مصالحه الدنيويّة والأخرويّة، قال تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ (البلد: ١٠)، وأقام سبحانه وتعالى على الإنسان الحجة البالغة، بأن أرسل إليه الرسل، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوموا بالقسط ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد: ٢٥)، ذلك أنّ الإنسان هو خليفة الله في

(٥) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٦) نفسه.

(٧) انظر: النورسي، رسائل النور، ص ٦٣.

الأرض، فحريّ به أن يتخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ بإقامة العدل، الذي يستلزم الرحمة، والرفق، والحكمة، والمساواة، ذلك أنّ قصد المكلف في التكليف يجب أن يوافق قصد الشارع في التشريع، ومعلوم أنّ قصد الشارع في التشريع هو تحقيق العدالة المطلقة من أجل مصالح العباد في العاجل والأجل معا، وذلك بإخراج المكلف عن داعية هواه حتّى يكون عبدا لله اضطرارا كما هو عبد له اختيارا. وعليه، فإنّ العدالة التي تحقّق السعادة الدنيويّة والأخرويّة للبشريّة، هي تلك التي تسعى لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، (واسترداد إنسانية الإنسان، ونسخ تسلّط الإنسان على الإنسان)<sup>(٨)</sup>؛ لأنّ عبادة العباد يعني الظلم وعدم المساواة بين بني البشر، ويعني سلب الإنسان حرّيّته، والتعدي على حقوقه، بينما عبادة ربّ العباد يعني العدالة المطلقة والمساواة الدائمة بين الناس، لأنّها عدالة تحت رقابة من لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وتحت رقابة سلطان القرآن الكريم، الذي يهدي للتي هي أقوم ﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا كبيرا، وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ (الإسراء: ٩ - ١٠)، وتحت رقابة ذاتية، توجّه صاحبها إلى إقامة العدل في نفسه، وفي غيره، فهذا النوع من العدالة هي التي قرّرها النورسي في كليّات رسائله، حيث يقول في الكلمة السادسة - في تفسير قوله تعالى: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة﴾ (التوبة: ١١١)، (إنّ بيع النفس والمال إلى الله تعالى والعبوديّة له، والجنديّة في سبيله أرباح تجارة وأشرفها)<sup>(٩)</sup>. فلا بد - إذن - من العمل وفق مراد الله تعالى لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية لهذا الإنسان، الذي يوزن بميزان عمله. قال عليه الصلاة والسلام: "إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"<sup>(١٠)</sup>. وقال تعالى: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣).

ثمّ نجده في مكان آخر يبيّن لنا أبعاد عدالة القرآن الدنيويّة، من خلال تفريقه بين أسس المدنيّة الحاضرة وأسس مدنيّة القرآن الكريم، بقوله: إنّ أسس مدنيّة القرآن نقطة استنادها: الحق بدل القوّة، ومن شأن الحق: العدالة والتوازن، التي منها ينشأ السلام،

(٨) كتاب الأمة، العدد ٤٧، فريد الأنصاري، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، تقديم عمر عبيد حسنه، ص ٢٧.

(٩) انظر: كليّات رسائل النور، ص ١٥.

(١٠) صحيح مسلم، ١٩٨٦/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، من حديث أبي هريرة.

ويزول الشقاء. وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، التي منها تنشأ السعادة، وتزول العداوة. ودستورها في الحياة: التعاون، بدل التخاصم والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات. وخدمتها للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن هذا: الارتقاء بالإنسان إلى ما يليق به. ورابطتها بين المجموعات البشرية: رابطة الدين، وأخوة الإيمان، التي هي الأخوة الخالصة.. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو موقف الدفاع ضد أي عدوان خارجي<sup>(١١)</sup>.

وأما أسس المدنية الحاضرة فهي على العكس من هذه الأسس، فهي سلبية، وذلك أنّ نقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعريض، ومن هذا تنشأ الخيانة. وهدفها وقصدها: منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية. ودستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة. ورابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد، ومن هذا تنشأ الدمار والهلاك. وخدمتها للجماعة: تشجيع الأهواء والنوازع.. وشأن الأهواء والنوازع دائما: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته<sup>(١٢)</sup>.

إذا أمعنا النظر فيما تقدم يظهر لنا أنّ العدالة الدنيوية في نظر النورسي عبارة عن عدالة مصغرة فيما بين بني البشر المستخلفين في الأرض، التي يجب أن يحاكوها فيها عدل الله الشامل في الكون وفي الحياة، ذلك أنّ الله تعالى هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، (وهو الذي وهب لهذا الإنسان استعدادا فطريا ساميا، يمكنه من حمل الأمانة الكبرى التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها.. والذي برأه بشكل ألطف المخلوقات وأعجزها وأضعفها، فسخر له جميعها من نبات وحيوان، حتى نصبه مشرفا ومنظما ومتخدلا في أنماط تسييحاتها وعباداتها.. والذي جعله نموذجا - بمقاييس مصغرة - للإجراءات الإلهية في الكون، ودلالا لإعلان الربوبية المنزهة - فعلا وقولا - على الكائنات، حتى منحه منزلة أكرم من منزلة الملائكة، رافعا إياه إلى مرتبة الخلافة..)<sup>(١٣)</sup>. فلا سعادة لهذا الإنسان إلا بإقامة العدل في نفسه أولا، ثم في

(١١) كليات رسائل النور، ص ٩١٣ ٩١٤.

(١٢) المرجع السابق، ص ٩١٢ ٩١٣.

(١٣) نفسه، ص ٨٨.

أسرته وعائلته؛ لأنه لا يمكن أن نتحدّث عن سعادة الأسرة دون الحديث عن العدالة القائمة بين أفرادها، (والاحترام المتبادل، والوفاء الخالص، والرفقة الصادقة، والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار)<sup>(١٤)</sup>، ثمّ في المجتمع كله، بل حتى في حق البهائم، وفي حق البيئة من بر، وبحر، وجوّ محيط بكوئنا الأرضي، التي يعتبر سلامتها سلامة لكل الكائنات، والتعسف في استغلالها يؤدّي إلى إهلاك الحرث والنسل، والله لا يحبّ الفساد.

فالعدالة التي تحقق للإنسان حياة أفضل في نظر النورسي - إذن - هي عدالة القرآن الكريم، (التي لا يضحي بحياة بريء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة)<sup>(١٥)</sup>، وهي تلك العدالة المبنية على الأسس الخمسة المذكورة فيما تقدّم، وهي باختصار:

- ١ - الحق، وهو يستلزم العدالة والتوازن، التي تحقق السلام.
  - ٢ - الفضيلة، وهي تستلزم المحبة والتقارب، التي تنشأ منها السعادة.
  - ٣ - التعاون الذي يدعو إلى الاتحاد والتساند.
  - ٤ - خدمة الجماعة بالهدى، وهو سبب الارتقاء بالإنسان إلى ما يليق به.
  - ٥ - تربط بين المجموعة البشرية برابطة الدين والأخوة الإيمانية الخالصة.
- تلك هي العدالة التي تعيد للإنسان إنسانيته، وتنزّله منزلته التي أرادها الله تعالى له، وأعتقد أنّه لا يختلف اثنان في أنّ أيّ مجتمع وجدت فيه هذه الأسس القرآنية الخمسة، أنّه سيتمتع بحياة طيبة في الدنيا، وفي الآخرة بإذن الله تعالى، فلم يبق أمامنا إلا أن نسلك السبل الكفيلة بتنزيل هدي الكتاب والسنة في الواقع، لنعيش حياة أفضل تسودها المحبة، والاحترام، والتعاون، والرفق، والرحمة.

المبحث الثاني: العدالة وأبعادها الأخروية في ضوء كليات رسائل النور

لقد أسلفنا في المبحث الأول أنّ الإنسان مستخلف في الأرض استخلاقاً سورياً، ليحيا وفق ما أراد الله تعالى، لا وفق ما أراد هو؛ لأنّ كل كائن - كما يقول النورسي - (إنما هو موظّف وجندي، مسرور، ومأمور مستقيم راض قانع...)<sup>(١٦)</sup>. وإذا كان الإنسان بهذه المثابة وجب عليه أن يلتزم بالعدالة، ويتعد عن الظلم، "يا عبادي إنّي

(١٤) المرجع السابق، ص ٩٩ ١٠٠.

(١٥) نفسه، ص ٩٢٠.

(١٦) كليات رسائل النور، ص ٦.

حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا<sup>(١٧)</sup>، فإنّ هذه الدنيا ما هي إلا سبيل إلى دار القرار، إلى دار العدل المحض، ففي هذا المبحث نبين عدل الله المحض الذي به ينال المحسن جزاء إحسانه يوم الجزاء، ويذوق المسيء وبال إساءته وظلمه لنفسه.

لا شك أنّ هناك محكمة كبرى بعد هذه الحياة الموقّعة، التي ما هي إلا مزرعة، وميدان تعليم، وسوق تجاري - كما يقول النورسي - ولا يتصور من خالق دبر شؤون هذه الحياة الفانية، بغاية الحكمة والنظام، وبمنتهى العدالة والميزان.. ألا يجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته يوم القيامة، بتلك الحكمة والعدالة<sup>(١٨)</sup>. فإنّ الإنسان لا يقضي في هذه الحياة إلا وقتاً يسيراً، فقد يتعرّض للظلم والانتقاص من حقه من بني جنسه تحت رقابة القدر الإلهي، وقد يُتصوّر أنّ هذا مناقض لعدل الله تعالى المطلق في الكون وفي الحياة! غير أنّ ذلك هو عين العدالة؛ لأنّ حكمة الله تعالى اقتضت أن تؤخّر بعض القضايا إلى يوم الحساب والجزاء، (حيث تقتضي العدالة الحقّة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابه وعقابه، لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس أهمّيّة ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمّته.. وحيث إنّ هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلاً لمثل هذه العدالة والحكمة، بما يخص هذا الإنسان - المخلوق لحياة أبدية - فلا بدّ من جنة أبدية، ومن نار جهنّم دائمة، للعادل ذي الجمال، وللحكيم الجميل ذي الجلال<sup>(١٩)</sup>.

كما أنّه لا يمكن أن يهب الله تعالى للإنسان هذه المكانة العظيمة في هذه الدنيا، (سيد الكائنات) ويكلّفه بكل هذه الوظائف، (الأمانة الكبرى) ثمّ لا يهب له غاياتها ونتائجها وثمارها، وهي السعادة الأبدية<sup>(٢٠)</sup>.

وهل كون الظالم الفاجر يتمتّع في هذه الحياة الدنيا، ويعيش في رفاهة وراحة، والمظلوم المتديّن يعيش في شظف من العيش، ومشقّة وإرهاق، ثمّ يموتون على حالهم، هل ذلك مناقض لعدالة الباري عزّ وجلّ؟ كلا، إنّ ذلك لحكمة من الله تعالى أرادها، وهي أنّ تلك النعمة استدراج وفتنة للظالم، حتّى إذا أخذه الله لم يفلت، فينال عقابه، ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه

(١٧) تقدّم تخريجه.

(١٨) المرجع السابق، ص ٦٢.

(١٩) المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٨٨.

ورزق ربك خير وأبقى ﴿ (طه: ١٣١) وأما المظلوم، فإن شظف العيش بالنسبة له امتحان لإيمانه؛ ليعظم ثوابه عند الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت: ٢)، وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (محمد: ٣١)، وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمارات وبشر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا" (٢١). قال النورسي: (إذ المنزّه عن الظلم سبحانه وتعالى وهو العادل الحكيم - بشهادة الكائنات قاطبة - لا يمكن بحال من الأحوال أن تقبل عدالته وحكمته هذا الظلم، ولا يمكن أن ترضيا به، فالنهاية المقصودة إذن حتمية؛ لأنّ رؤية هذا الإنسان الكادح المنهوك جزاءه وثوابه - حسب استعداده - يجعله رمزا للعدالة المحضّة، ومدارا لها، ومظهرا للحكمة الربانية ..) (٢٢).

ويؤكد النورسي أبعاد العدالة الأخروية في جوابه على سؤال ورد على تفسير قوله تعالى: ﴿واقتوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال: ٢٥)، والسؤال هو: (فما نصيب أولئك المظلومين من العدالة الإلهية، ورحمتها الواسعة؟ فأجاب: إنّ هناك تجليا للرحمة في ثنايا ذلك الغضب والبلاء؛ لأنّ أموال أولئك الأبرياء الفانية ستخلد لهم في الآخرة، وتدخّر صدقةً لهم، أما حياتهم الفانية فتتحول إلى حياة باقية بما تكسب نوعا من الشهادة..) (٢٣).

وخلاصة القول: إنّ أبعاد العدالة الأخروية تتجلى في عدالة الله المطلقة، وحكمته البالغة في الكون وفي الحياة، تلك العدالة والحكمة اللتان شهدت لهما الكائنات كلها، بلسان الانتظام والميزان، حيث يتم تدوين كل صغيرة وكبيرة مما يجري في هذه الحياة الفانية لتعرض أمام المحكمة الكبرى التي يستوي أمامها الكائنات أجمعين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، فيفصل بينهم بالعدل والميزان، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، ومن خفّت موازينه فأتمه هاوية، ويموئذ كل يقرأ كتابه بنفسه، ويشهد على نفسه بما حواه كتابه، ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (الإسراء: ١٤) إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، والله تعالى يحكم لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب.

(٢١) صحيح مسلم، ٢/٢٢٩٥، كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير.

(٢٢) كليات رسائل النور، ص ٦٧٠.

(٢٣) المرجع السابق، ص ٢٣١.

## خاتمة:

لقد تناولنا في هذا البحث المتواضع موضوع: العدالة وأبعادها الدنيوية والأخروية في ضوء كليات رسائل النور، فبيّنا مفهوم العدالة على أنها: الاعتدال والاستقامة على السلوك السوي بفعل الأمور به وترك المنهي عنه شرعا، مع الميل إلى الحق وإقامته. وأن من اتّصف بهذا الوصف هو: المعتدل المستقيم، الذي يعطي كلّ ذي حقّ حقه، ويسعى لإنهاء الظلم، أو إقلاله. ثمّ وضّحنا العدالة وأبعادها الدنيوية في ضوء كليات رسائل النور، على أنها هي التي تعيد للإنسان إنسانيته، حيث تعتقه من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، حتّى يتبوأ بذلك المكانة والمنصب الذي اختاره الله تعالى له في هذه الحياة الفانية، وهو الاستخلاف الصوري عن الله عزّ وجلّ في إقامة العدل والميزان، ومحاولة التخلّق بأخلاق الله تعالى في الحكمة والعدل الشاملين في الكون وفي الحياة، من أجل سعادة الإنسان نفسه في الدنيا وفي الآخرة. ثمّ سلّطنا الضوء على العدالة وأبعادها الأخروية في ضوء كليات رسائل النور، فبيّنا أنّه لا بدّ من محكّمة كبرى يوم الحساب والجزاء، يظهر فيها عدل الله المحض بين الكائنات أجمعين، للمؤمن والكافر، ولمن كان يرتاب في هذه العدالة المطلقة، فتوصّلنا من خلال هذه الجولة العلمية المتواضعة إلى النتائج الآتية:

١ - أنّ العدالة التي تحقّق للناس حياة أفضل في نظر النورسي، هي تلك التي تتوفّر فيها الأسس الخمسة لمدينة القرآن الكريم، وهي الحق، والفضيلة، والتعاون على البر والتقوى، وخدمة الجماعة بالهدى، والربط بين المجموعة البشرية برابطة الدين والأخوة الإيمانية.

٢ - أنّه يجب على الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض، أن يحاكي من أكرمه بهذا الاستخلاف، في عدالته وحكمته الشائعتين الشاملتين، ليسعد في دنياه وأخراه.

٣ - أنّه من تمام عدل الله عزّ وجلّ أن يؤخّر بعض المظالم الدنيوية، ويمهل الظالم، ويفتن المظلوم، منتظرا بذلك المحكّمة الكبرى يوم الجزاء والحساب، فيجازي المحسن الذي انقاد لعدالته وحكمته، على إحسانه وانقياده، ويعاقب الظالم العاصي، على ظلمه وطغيانه، تحقيقا لتلك الحكمة والعدالة.

## توصية

أوصي نفسي وإياكم قبل كل شيء بتقوى الله عزّ وجلّ، ثمّ إنّنا إذا أردنا أن نحقّق هذه العدالة التي ندعو إليها جميعا، فلا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار الأمور الآتية:

١ - لا بدّ من تحقيق العدالة في أنفسنا، قبل أن نفكر في إشاعتها في المجتمع.  
 ٢ - عدم إلغاء الآخر بالكلية؛ لأننا متساوين في الإنسانية، فالكفر أو العصيان والتمرد ليست صفات مستقرّة ولازمة، ولعلّ قول النورسي في الخطبة الشامية يوضّح هذا المعنى، حيث قال: (إنّ أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام، وستلدان يوما ما دولة إسلامية، كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوروبية)<sup>(٢٤)</sup>. وقوله أيضا لمن سأله: (لما كان الحق يعلو أمرا حقا لا مرأ فيه، فلم ينتصر الكافر على المسلم، وتغلب القوّة الحقّ؟

.. لا يلزم أن تكون كل وسيلة من وسائل كل حق حقا، كما لا يلزم أيضا أن تكون كل وسيلة من وسائل كل باطل باطلة، فالنتيجة إذن إنّ وسيلة حقة لو كانت في باطل، غالبية على وسيلة باطلة ولو كانت في الحق. وأيضا بينما يجب أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة مثله، إلا أنّ هذا ليس أمرا واقعا، ولا دائما، ومثله: لا يلزم أيضا أن تكون صفات الكافر جميعها كافرة، ولا نابعة من كفره، وكذا الأمر في صفات الفاسق، لا يشترط أن تكون جميعها فاسقة، ولا ناشئة من فسقه، إذن، صفة مسلمة يتصف بها كافر تتغلّب على صفة غير مشروعة لدى مسلم، وبهذه الوساطة يكون ذلك الكافر غالبا على ذلك المسلم الذي يحمل صفة غير مشروعة)<sup>(٢٥)</sup>.

٣- ضرورة تربية الأجيال الصاعدة في المدارس وعبر وسائل الإعلام على العدالة، وغرسها في سلوكياتهم، وفي كل تصرّفاتهم، حتى إذا وصلوا إلى مراكز القيادة ساسوا رعاياهم بالعدل والميزان، وسعوا لمصلحة الدين والوطن والشعب.

(٢٤) بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ص ٣١، تحقيق إحسان قاسم.

(٢٥) كليات رسائل النور، ص ٨٢٥.